Victor Nasr, Le suicide americain, (Editions EPA, Beyrouth, 1972).

اذا كان « الكتاب يقرأ من عنوانه » ، كما يقول المثل الشعبي ، فان هذا ينطبق اكثر ما ينطبق على كتاب فيكتور نصر هذا الذي نحن بصدده . وليس هذا حدسا منا او حكما مسبقا او استخفافا بموضوع قد يكون صاحبه بذل جهدا حقيقيا في « دراسته » بل هو استنتاج من العنوان الطويل جدا الذي وضعه المؤلف لكتابه والذي يمكن أن نترجمه كالاتي :

« رسالة مفتوحة من لبناني موالي للغرب الى الولايات المتحدة الاميركية — سياسة اميركا الموالية لاسرائيل والصهيونية أو **الانتحار الاميركي** في الشرق الاوسط وفي العالم العربي وشمالي أفريقيا وحوض البحر الابيض المتوسط » .

اذن فان الكاتب ينطلق من موقع الموالاة للغرب ليدرس وينتقد ويتعجب من مواقف الولايات المتحدة الاميركية وسوء فهمها « للمأساة الفلسطينية التي هي أساس أزمة الشرق الاوسط الراهنة » . كل هذا حتى « يظل الغرب الديمقراطي والليبرالي منطقيا مع نفسه وحتى لا يسير نحو الدمار » (ص ٧) .

ان حرص فيكتور نصر على مصالح الولايات المتحدة الاميركية في الوطن العربي وعلى قيمها الليبرالية يعطي القارىء انطباعا عاما بأن هذا الكتاب لا يريد خدمة القضية الفلسطينية الا لانها قد تؤثر على وجود الغرب في المنطقة العربية . الا اننا لا نريد ان نظلم المؤلف فنحصر انفسنا ضمن حدود الانطباعات العامة بل سنحاول ان ندرس الكتاب دراسة مفصلة قبل اصدار أي حكم تقييمي .

يقول فيكتور نصر في مقدمة كتابه :

« ليست هذه الرسالة المفتوحة ، الموجهة بشكل اساسي الى الرأي الاميركي (الغريب ان الكتاب بالفرنسية وينوي المؤلف نقله الى العربية قبل الانكليزية ؟ ...) وبالتالي الى حماة اسرائيل الغربيين ، عملا اعلاميا او وثائقيا بل هي عبارة عن ابداء رأي يهدف الى الحث على العمل لمواجهة الهجوم الشرس للمخططات والوقائع الصهيونية والإسرائيلية » (ص ١١) . أما كيف يمكن لهذا « الرأي » ان « يجابه المخططات والوقائع الصهيونية والاسرائيلية » فأمر لا يوضحه لنا الكاتب وكأن المسألة مسألة سوء فهم او خطأ تاريخي وعدم نضوج سياسي . الا انه على كل حال لا يبخل علينا بشرح مستفيض للدوافع البعيدة والمواقع الفكرية والسياسية التي انطلق منها لابداء هذا « الرأي » . يقول فيكتور نصر بهذا الصدد :

«ان كاتب هذه السطور — مواطن في نظام وديمقراطي مستهد من الغرب ، مواطن من لبنان ذي النظام البرلماني مثة بالمئة والمتمسك بكل حزم بالحرية ، شكلا ومضمونا — يتطوع ليعكس ، بكل بساطة وبدون أي ادعاء ، الارتباك الذي يقع فيه الاف اللبنانيين والعرب الذين ، بالرغم من كونهم متضامنين مع القوى الحية التي تحارب ضد الشيوعية فانهم يستنكرون بعض الاساليب المستعملة لايقاف تقدم الانظمة الاستثنارية totalitaire ويطالبون مخططي الليبرالية العصرية الجديدة ان يعيدوا النظر جذريا وبسرعة برؤية معينة وتكتيك معين لم يؤديا ، خاصة في اطار الوضع في الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط الا الى فشل ذريع » (ص ١٩) .

هكذا اذن ، وبدون اقنعة ، يعلن المؤلف عن ارتباطه بالديمقراطية الغربية (أي « بالعالم الحر »)وموافقته على شن حرب صليبية ضد الشيوعية وضد الانظمة الاستثنارية (أي التقدمية) في المنطقة الواقعة تحت « النفوذ السوفييتي » (!) ومن هنا حرجه الزائد في الدفاع عن جوهر السياسة الاميركية القائمة على الديموقراطية والحرية ، هذه السياسة التي بدأها جورج واشنطن وابراهام لنكولن وغيرهما ... من رواد الاستقلال الاميركي والتي اصيبت في هذه الايام بعجز عن « التحليل والفهم » !.. أو التي ضللت بسبب النفوذ الصهيوني الواسع المسيطر عليها... انه لا يريد ان يصدق ان ما يسميه « بالديمقراطية الاميركية » لا وجود له وبالتالي فهو لا يفكر ولو للحظة واحدة ان الولايات المتحدة بالرغم من تمايزها عن اسرائيل والصهيونية الا انها في نهاية المطاف وبالتحليل الاخير العدو الاساسي للقضية